الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية

أ.م.د.إدريس مقبول(*)

ملخص البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،أما بعد

فإن بحث القواعد التخاطبية التي انتظمت مخاطبات النبي صلى الله عليه وسلم وحواراته من أَجَلِّ البحوث التي توقفنا على آيات الحكمة والرحمة في التواصل النبوي الذي ينبغي للمسلمين أن يستثمروها في فهمٍ أدقَ لأسباب النجاح التي رافقت الدعوة المباركة للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم .

وإن واجب التأسي ليدفع إلى تتبع هذا الجانب من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، والتعرف على ضوابطه وأوصافه ، والتفريق بين الاعتبارات التي جاءت بها هذه المخاطبات، حتى يتمكن المسلمون من بناء فقه للتواصل النبوي يبين لهم على هدي ما جاء في سيرته صلى الله عليه وسلم القيود والضوابط والإمكانات الإبداعية التواصلية والشرعية على حد سواء .

(*) أستاذ مساعد في المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بمكناس/المغرب

The strategies of the converse in the prophethood's Biography

Asst .Pro .Dr. Idrees Maqboul

ABSTRACT

Praise be to Allah and praying and peace be on no prophet accept him and then,

About this study that the roles of the converse which arranged the speeches of the prophet Mohammad (P.B.U.H) and his dialogs for the researches which we stopped on their the mercy and wisdom Ayas in order to the prophet's coinable which must Al_ Muslim can invest into well understanding in order to optimum the succeeded reasons which accompany the blessed a preaching of the prophet(P.B.UH).

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن تلخيص دواعي اختيارنا لهذا الموضوع فيما يلي:

_ التعرف على القواعد التخاطبية التي ميزت حوارات النبي صلى الله عليه وسلم

_ التمييز بين استراتيجيات التخاطب في حوارات النبي صلى الله عليه وسلم

_ المساهمة في بناء فقه التواصل النبوي وقواعده

_ قراءة السيرة النبوية قراءة لسانية تداولية على ضوء أحدث الدراسات التواصلية المعاصرة

الدراسات السابقة:

بعد إجراء بحث وتفتيش في الدراسات التي عنيت بموضوع استراتيجيات التخاطب في حوارات النبي صلى الله عليه وسلم، لم نجد من البحوث سوى القليل الذي اهتم بالأساس بالحوارات النبوية، من ذلك:

_ حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود لمحسن بن محمد بن عبد الناظر [آ]

_ الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين لسعيد صيني

_ الحوار النبوي في القرآن لعبد الله الخنيزي[Ñ]

_ الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية لرقية طه جابر العلواني Ó

_ فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية لفتحي بن عبد الله الموصيلي Ó

_ الحوار مع أهل الكتاب: أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة لخالد بن عبد الله القاسم Ô

_ الحوار النبوي لعبد الرزاق مرزوك Õ

وهي دراسات مهمة بيد أنها اهتمت أكثر بتتبع صور حواره صلى الله عليه وسلم مع المخاطبين وأنواعهم، وضوابط الحوار الأدبية خصوصا دون الضوابط الصورية، ولم تهتم واحدة من هذه الدراسات بالمقاربة الدلالية التداولية.

صعوبات البحث:

تكمن صعوبة البحث في هذا الموضوع في النقط التالية:

_ اتساع دائرة السيرة والسنة النبوية وشروحها مما يحتاج معه إلى وقت طويل للتنقيب

_ كثرة المادة وتشتتها في أبواب متفرقة وورودها بروايات مختلفة تحتاج للمقابلة

_ غياب دراسات لسانية حديثة في الموضوع

خطة البحث:

استعنا في بناء هذا البحث على خطة تتبعنا من خلالها المادة الحوارية في أصول السيرة والسنة النبوية، فجاء البحث وفق التصميم التالي:

- تعريف الحوار
- الحديث والحوار
- الحوار في السنة
- أولا: الحوار
- ثانيا: التحاور
- ثالثا: المحاورة
- رابعا: المقاولة
- حرص النبي على الحوار

– الحوار والعقل

– الاستراتيجيات التخاطبية:

– مفهوم الإستراتيجية:

– الأساس الشرعي للإستراتيجيات التخاطبية:

– أنواع الاستراتيجيات التخاطبية في حوارات النبي صلى الله عليه وسلم:

_ الإستراتيجية التضامنية: (التعريف_المسوغات_التمثيل)

_ الإستراتيجية التوجيهية: (التعريف_المسوغات_التمثيل)

_ الإستراتيجية التلميحية:(التعريف_المسوغات_ التمثيل)

_ الإستراتيجية الحجاجية: (التعريف_المسوغات_ التمثيل)

_ خاتمة وتوصيات

تعريف الحوار:

الحوار في اللغة : من حور، والحور : الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، حار إلى الشيء وعنه حوراً ومحاراً ومحارة وحؤوراً : رجع عنه وإليه ؛ وقول العجاج : في بئر لا حور سرى وما شعر أراد : في بئر لا حؤور، أراد في بئر ماء لا يحير عليه شيئاً، وفي الحديث : من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حار عليه ؛ أي رجع إليه ما نسب إليه[٥] ،

كما أن أصل كلمة "الحوار " من حاوره محاورة وحوارا جادله، قال تعالى: (قال له صاحبه وهو يحاوره)، والمحاورة المجاوبة، أو مراجعة النطق والكلام في المخاطبة، والتحاور التجاوب، لذلك كان لابد في الحوار من وجود متكلم ومخاطب، ولابد فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته، وغاية الحوار توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم، لا الاقتصار على عرض الأفكار القديمة، وفي هذا التجاوب توضيح للمعاني، وإغناء للمفاهيم، يفضيان إلى تقدم الفكر[×].

الحوار في السنة:

ورد مفهوم الحوار وما يدور حوله من مشتقاته في السنة مرات عديدة، دليلا أن سيرة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه سيرة احتفلت بالحوار بما هو آلية للتقريب والتهذيب والتصويب، ونحن نورد لك بعض الأمثلة:

أولا :أمثلة الحوار:

جاء لفظ الحوار في بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما أورد الطبراني من حديث ابن عباس" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على وادي بن الأزرق فقال: ما هذا الوادي؟

قالوا: وادي بن الأزرق

قال: كأني أنظر إلى موسى عليه السلام منهبطا وله **حوار** إلى ربه بالتلبية، ثم أتى على ثنية ،فقال: ما هذه الثنية؟

قيل: ثنية كذا وكذا

قال: كأني أنظر إلى يونس بن متى على ناقة حمراء جعدة خطامها ليف عليه جبة من صوف وهو يلبي" [ii]

ثانيا: التحاور:

كما جاء لفظ التحاور أيضا في حديثه صلى الله عليه وسلم ،"جاء عند المناوي في فيض القدير والهندي في كنز العمال حديث: "وإنما الناس رجلان: مؤمن وجاهل؛ فلا تؤذ المؤمن ولا تحاور (بحاء مهملة) الجاهل"

قال في الفردوس: المحاورة المكالمة، وروي:" لا تجاور " (بالجيم)، وهذا مسوق للنهي والزجر عن المراء والمجادلة" [ii].

ثالثا: المحاورة:

ومن الألفاظ الدائرة في فلك الحوار في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد المحاورة على وزن مفاعلة ، فقد روى البخاري من حديث أبي الدرداء قال" ثم كانت بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضب أبو بكر عمر ،فانصرف عنه عمر مغضبا ، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له ، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو الدرداء ونحن عنده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم هذا فقد غامر.

قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل أبو بكر يقول :والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي؟إني قلت: يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، فقلتم: كذبت وقال أبو بكر :صدقت" [آ]

وجاء في مصنف ابن أبي شيبة:"حدثنا ابن فضيل عن نيار عن قيس قال: كان بين خالد بن الوليد وبين رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم محاورة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لكم ولسيف من سيوف الله سله الله على الكفار؟" [آÑ]

رابعا: المقاولة:

ومن مرادفات الحوار من غير مادته اللغوية نجد لفظ "المقاولة" على وزن مفاعلة، وهي تفيد مقام تناوب القول على جهة الجدل، أي المناقشة؛ إذ جاء في حديث رواه عكرمة قال" إنه كان بين بن عباس وزيد بن ثابت في المرأة التي تحيض بعد ما تطوف بالبيت يوم النحر مقاولة في ذلك ، فقال زيد: لا تنفر حتى يكون آخر عهدها بالبيت. وقال بن عباس: إذا طافت يوم النحر وحلت لزوجها نفرت إن شاءت، ولا تنتظر.

فقالت الأنصار: يا بن عباس انك إذا خالفت زيدا لم نتابعك.

فقال بن عباس: سلوا أم سليم.

فسألوها عن ذلك، فأخبرت أن صفية بنت حيي بن أخطب أصابها ذلك، فقالت عائشة: الخيبة لك حبستينا، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرها أن تنفر، وأخبرت أم سليم أنها لقيت ذلك، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنفر"[ÏÒ]

الحديث والحوار:

الكلام عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عن الحوار وثقافة الحوار بامتياز، فإن الحديث لا يكون إلا بوجود متحدث(مرسل) ومتحدث إليه(مرسل إليه)، والحديث لما كان من جنس الكلام، فإنه لا يتصور إلا بوجود اثنين فأكثر،ولهذا كان كل كلام(حديث) حوارا، والعكس صحيح.

وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدو لمطالعه أن الحوارية من ميزاته الأساسية، إذ هو عبارة عن سؤال أو جواب، وحتى ما كان منه توجيها غير مسبوق بسؤال، فإنه يفترض فيه أن يستضمر سؤالا، يأتي التوجيه جوابا عنه كما أكدت ذلك نظرية السؤال التي وضع أسسها ميشال مايير الفيلسوف البلجيكي، هذه الفلسفة التي تفترض أن بنية الكلام في أصل حقيقتها هي عبارة عن أجوبة، وأن المتكلم(سائل) في كل أحواله، ليس باعتباره يطرح أسئلة، لكن باعتباره يسعى في كلامه إلى الجواب عن أسئلة تستثيره وتحركه، وقد صار السؤال وافتراض السؤال هو المحرك والباعث الوحيد للإنسان المتكلم في كل أنشطته ، ومن هنا كان السؤال أساس النشاط اللغوي وسبب وجوده عنده، ومن غيره لم يكن للغة أن تتشكل ولما كان للكلام أن يوجد[ÏÒ].

إن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن بدا في بعض أصول السنة عبارة عن جمل ومقاطع لا تحتف بما دعا لمجيئها على النحو الذي جاءتنا عليه، إلا أن الحقيقة هي ما تعكسه كتب الشروح حيث توقف القارئ على سياقات الورود بما تتضمنه من أطراف التخاطب وأسباب الحديث ومقامه وظروفه وحيثياته، وهي عملية غاية في الأهمية إذ تعيد بناء الحديث، أو لنقل تعيد بناء سياقه التداولي بما فيه من خاصية الحوارية Dialogism، فيفهم القارئ أن حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس إلا لبنة في مشهد يومي كان خلاله النبي صلى الله عليه وسلم يعيش حياته بين أصحابه وأهله وخصومه، إن الحوارية في أحاديثه صلى الله عليه وسلم

تجعلنا نقف عند النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم وهو يخالط الناس، ويمشي في الأسواق ، ويحادث أهله، ويوجه جيوشه، ويشاور أهل الخبرة من أصحابه، إلى ما هنالك من نشاطات يومية كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص أن يعطي فيها المثال والقدوة، وكان صحبه رضوان الله عليهم يحرصون على تسجيلها عبر آليتين:

آلية سلوكية : وهي الإتباع

و آلية شفوية: وهي الرواية

وكلا الآليتين تحظى بقيمة كبرى في حفظ السنة النبوية الشريفة،وقد تتفوق الآلية السلوكية على الآلية الشفوية أحيانا من جهات أهمها أن الآلية السلوكية ممثلة في الإتباع تحرص على الإتيان بالفعل المنقول كما هو من غير تحريف أو زيادة أو نقصان، كما أنها أرسخ في النفس لتعلقها بالنموذج الحي، في حين قد يعرض للآلية الشفوية من عوارض النسيان والخلط والسهو الداخلة على الحافظة ما يجعلها أقل من الأولى، وكلاهما وعاء للسنة.

حرص النبي على الحوار:

الذي يتمسك بالحوار يحرص على احترام نفسه واحترام الآخرين، وهذا الاحترام لا يكون إلا عبارة مشرقة لاحترام العقل، ذلك أن الحوار بما هو مناوبة turn taking على الكلام فهو يصور شكل التفاعل اللغوي تصويرا رائعا؛ "شكلا يتفاعل من خلاله المشاركون في الفعل في سياق محدد تفاعلا مباشرا، ومن ثم يجرون نشاطا منظما تعاونيا"[ïô].

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يحرص على شيء حرصه على حقن الدماء وحفظ حرية الأفراد حتى يقبلوا على الله من غير قيد أو شرط، وحتى ينقادوا للدين الحق طائعين غير مكرهين، ولقد كانت وسيلته لتحقيق هذه الغاية الدعوة بالتي هي أحسن، منتهجا أساليب الحوار بجميع طرقه، وكافة أشكاله مراعيا مواصفات مخاطبيه وأذواقهم وقدراتهم على الفهم والتحصيل والإدراك، فكان يحرص على مخاطبة الناس بما يفهمون وبما يعون، يدخل عليهم من كل باب يريد أن يخلصهم من عبوديتهم لأهوائهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

ومن حرصه صلى الله عليه وسلم على الحوار مع الآخر ؛ ما كان يأخذ به نفسه من الإقبال المتواصل على مخاطبيه ، وهي قضية غاية في الأهمية في مجال التواصل، ضامنة لنجاح شطر كبير من التخاطب بين المتخاطبين، ولا يقتصر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مخاطبيه من المؤمنين به، بل هي قاعدة عامة تحكم تواصله الشريف مع سائر بني البشر حتى من ناصبوه العداء والخصومة،يحكي عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان " يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألفهم بذلك، فكان يقبل بوجهه وحديثه علي حتى ظننت أني خير "ïõ.

وهذا الإقبال يدخل من وجهة نظر مساطر الشريعة السمحة في المعروف،ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من يعرف المعروف، ومن يزرع المعروف كما يقولون يحصد الشكر.

فعن عائشة قالت : جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه و سلم و هو عندي.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : من أنت ؟

قالت : أنا جثامة المزنية

فقال : بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا ؟

قالت : بخير بأبي أنت و أمي يا رسول الله .

فلما خرجت.

قلت : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟

فقال : إنها كانت تأتينا زمن خديجة و إن حسن العهد من الإيمان ïö

كما يأتي حرصه صلى الله عليه وسلم على الحوار من حيث إن الحوار آلية تفعيل لجوهر العقل ، الذي هو منحة إلهية لبني البشر، ميزهم بها الحق سبحانه عن سائر من خلق، وهي مناط التكليف،يبين هارون ليون أن من روائع دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أخذها بالحوار واحترامها للعقل، وأن الإسلام" لا يطالب أتباعه أبدا بإلغاء هذه الملكة الربانية الحيوية، فهو على النقيض من الأديان الأخرى التي تفرض على أتباعها أن يتقبلوا مبادئ معينة دون تفكير ولا تساؤل حر، وإنما تفرض هذه المبادئ فرضا بسلطان الكنيسة، أما الإسلام فإنه يعشق البحث والاستفسار،

ويدعو أتباعه إلى الدراسة والتنقيب والنظر قبل الإيمان،...،إن الإسلام يؤيد الحكمة القائلة : برهن على صحة كل شيء ثم تمسك بالخير ،وليس هذا غريبا،إذ إن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، فالإسلام دين العقل والمنطق" [×]

وإذا تبين لنا منزلة الحوار من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، انتقلنا للحديث عما سميناه باستراتيجيات التخاطب في حواراته عليه الصلاة والسلام.

الاستراتيجيات التخاطبية:

مفهوم الإستراتيجية:

يرجع مصطلح" إستراتيجية" Strategy إلى المجال العسكري، وهو يشير هناك إلى طرق الوصول إلى أهداف عسكرية بعيدة المدى، وفي لسانيات الخطاب Linguistics of Discourse وتحليل الخطاب Discourse Analysis يفيد مصطلح" إستراتيجية" مجموع عمليات المعالجة الموجهة إلى هدف والجارية عن وعي عند إنتاج الخطاب .

وكل محاولة للوصول إلى أهداف من خلال الخطاب تعتمد إستراتيجية تخاطبية، بما هي نتيجة سلسلة من عمليات اختيار واتخاذ القرار تجري بوعي في العادة، تُعَلَّم من خلالها خطوات الحل ووسائله لتنفيذ أهداف تواصلية [أ]

وبذلك يصير واضحا أن الاستراتيجيات تتوسط بين المهام التواصلية المستنبطة من التفاعل والقيود الاجتماعية، وكذلك أهداف المشاركين في التواصل ، هذا من جهة، وبين الوسائل اللغوية وغير اللغوية الموضوعة لتحقيقها وتأليف نيتها من جهة أخرى.

ومن ثم تُعَرَّف الاستراتيجيات التخاطبية دائما من خلال أهداف معينة مستنبطة من التفاعل؛ فهي إذن تستند إلى حال مستقبلية، يطمح إليها التفاعل، ويرتبط بمكون الهدف، هذا تنشيط أنظمة معرفية معينة، وتمثيلات_نماذج عقلية_، واستحضار آراء خاصة، وأوجه إقناع ومواقف، والإعلام بالقيود الموقفية للفعل التواصلي المخطط له وبوجه خاص التوجيه المستمر لكل الأنشطة الإدراكية إلى الوظيفة الممكن توقعها للخطاب المخطط له في التفاعل [أ] .

الأساس الشرعي للاستراتيجيات التخاطبية:

عند أهل الأصول تمييز بين أحوال الرسول في مخاطباته، وقد جعل الأصوليون يتحدثون عن "التصرفات"عوضا عن أحواله صلى الله عليه وسلم في مخاطباته وما يترتب عنها من أحكام، والتأكيد على "التصرف" هو تأكيد على وعيهم بحقيقة "الفعل اللغوي" وطابعه الإنشائي الذي لا يقف أثره عند حدوده اللفظية، بل يتجاوزه إلى إحداث أثر في الواقع، أي إنشاء وضع جديد في سياق الخطاب.

فالتصرف من هذه الجهة لغة ذات حدين أحدهما لفظي والآخر غير لفظي، وكله إنشائي بمعنى أنه يستتبع عملا وتغيير أحوال ومواقف .

ونحن نعتقد أن علماء الأصول قد وفقوا أيما توفيق في التنصيص على أن كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن سبيله التشريع العام للأمة، بل كان فيه ما هو صادر عنه صلى الله عليه وسلم بمقتضى الجبلة والخبرة الإنسانية، ومنه ما صدر عنه بمقتضى إمامته للمسلمين أو قيادته في ظروف الحرب، أو باعتباره قاضيا يفصل في النزاعات والخصومات،التي قد تكون الأحكام الصادرة عنه فيها خاصة بأصحابها لا تتعداهم لغيرهم .

مثال ما نحن بصدده ما تعرض له القرافي في فروقه من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتصرف بالإمامة وبالفتوى وبالقضاء ،وتمييز ولي الله الدهلوي بين ما سبيله تبليغ الرسالة، وما ليس من باب تبليغ الرسالة [N] ،وتمييز الشيخ الطاهر بن عاشور بين اثنتي عشرة حالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، منها التشريع، والفتوى ، والقضاء، والإمارة، والهدي، والصلح، والإشارة على المستشير،والنصيحة، وتكميل النفوس، وتعليم الحقائق العالية، والتأديب، والتجرد عن الإرشاد.

إن هذا الفقه التواصلي الذي لا يخلو من بعض التعقيدات في فهمه خصوصا في معايير إقامة التصنيف لأفعال الرسول وحواراته هو موضوع بحثنا ومقاربتنا من وجهة نظر منهجية مخالفة لما اعتاده الأصوليون في معالجاتهم وتحليلاتهم.

إننا بصدد إعادة قراءة جديدة لتراثنا في فقه السنة، قراءة تركز على المعطيات التواصلية أكثر من تعاطيها مع الأحكام ووقوفها في حدود الظاهر من غير أن تبخس جهود المتقدمين ولا أن تقدم نفسها بديلا عنها، إذ لكل قراءة سياقها ورهاناتها وتاليا إستراتيجيتها.

أنواع الاستراتيجيات التخاطبية:

الاستراتيجيات التخاطبية في حوارات النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد تم تصنيف أنواع الاستراتيجيات التخاطبية في الدراسات التداولية بحسب ثلاثة معايير، وهي:
أولا:المعيار الاجتماعي: ويتعلق بالعلاقة بين طرفي التخاطب، وقد تفرع عن هذا المعيار إستراتيجيتان هما: الإستراتيجية التضامنية، والإستراتيجية التوجيهية.
ثانيا: معيار شكل الخطاب: ويتعلق بشكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل، وعن هذا المعيار تفرعت الإستراتيجية التلميحية.
ثالثا: معيار هدف الخطاب: وعنه تفرعت الإستراتيجية الحجاجية.
فإذا اتضح هذا انتقلنا لتفصيل كل واحدة على حدة بما تقتضيه من تعريف وتمثيل وشرح وتفصيل من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

الإستراتيجية التضامنية:

تعريف:

يتم تعريف الإستراتيجية التضامنية في الدراسات التداولية بأنها الإستراتيجية "التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، بتفهم حاجات الجمهور Audiences needs، وإجمالا هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه"[Ò]

مسوغات الإستراتيجية التضامنية:

مما يدعو المرسل لانتهاج هذه الإستراتيجية تحقيق ما يلي:
_ تأسيس العلاقة الودية بين طرفي الخطاب أو إعادة الحميمية لها بعدما تعرضت للبرودة

_ تحسين صورة المرسل أمام المرسل إليه

_ تفعيل التضامن في حياة الناس

_ الحد من دور السلطة في حياة الناس

_ تيسير طرق التفهيم والتعليم من طريق التأدب

_ كسب ولاء الناس ومحبتهم وتعاطفهم

_ إلخ...

1- **تمثيل**:

1-1- **استيعاب الجرأة الشبابية**:

موضوع الحوار:التهذيب والتربية

أطراف الحوار: النبي صلى الله عليه وسلم والشاب

الحضور: الصحابة

المقام: ويدخل فيه زمان ومكان الحدث التواصلي، وكذا العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين

القناة:كلام

النظام:دردشة

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الشاب : يارسول الله إئذن لي بالزنا.

فأقبل القوم عليه فزجزروه وقالوا : مه مه !!

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (أدنه).

فدنا منه قريبا فجلس، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (أتحبه لأمك) ؟

فقال الشاب : لا والله جعلني الله فداءك.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم أتحبه لابنتك) ؟

فقال الشاب : لا والله جعلني الله فداءك.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (ولا الناس يحبونه لبناتهم أفتحبه لأختك) ؟

فقال الشاب : لا والله جعلني الله فداءك.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (ولا الناس يحبونه لأخواتهم أفتحبه لعمتك) ؟

فقال الشاب : لا والله جعلني الله فداءك.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (ولا الناس يحبونه لخالاتهم).

فوضع يده عليه وقال صلى الله عليه وسلم : (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه).

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء "Ó

إن طبيعة الحوار الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الشاب، الذي يعيش فترة حرجة لعلها بكل تأكيد العشرينات الخطرة Dangerous twenties، جعل منه نبي الرحمة بامتياز، ففي الوقت الذي هَمَّ الحضور من الصحابة بزجر الفتى الذي أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم في كامل الانكشاف والصراحة والشفافية من غير مواربة ولا نفاق ، أقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم يحتضنه بحنو منقطع النظير ،ويعزز بالرحمة ضميره الأخلاقي حتى يرجح الفضيلة على الفاحشة، وهكذا تكون التربية بالرحمة،و"هكذا كانت الرحمة في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاحا سحريا، وبهذا المفتاح فتح مغاليق أقفال صدئة لم يكن أحد يتوقع فتحها بأي مفتاح،وأشعل شعلة الإيمان في القلوب،...،لقد سلم هذا المفتاح الذهبي إلى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، لأنه كان أليق الناس به، والله تعالى دائما يسلم الأمانة لمن هو أهل لها"Ô

في الإستراتيجية التضامنية لا يخاطب المرسل المرسل إليه بمنطق التوجيه أو التواصل العمودي، بل يحرص على الاقتراب منه بأدب Õ بقصد التأثير فيه أكثر، خصوصا إذا علم أن القضية موضوع الحوار ليست عقلية محضة، بل يتداخل فيها ما هو عاطفي بما هو عقلي بما هو اجتماعي بما هو شرعي، فلهذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم تقنية السؤال(وهي تقنيّة حيادية إنشائية) لتوجيه نظر الفتى إلى منطقة تتحجب عادة بسلطان الشهوة إذا ما استتب وتغول، هذه المنطقة إذا انفتحت عيون العقل عليها ارتفعت معدلات الإحساس بالغيرة الإنسانية والاجتماعية في نفس المرسل إليه، فاستفاق على بشاعة ما يفكر فيه، وآثر الإحساس الإنساني الجمعي على اللذة الشخصية العابرة، خصوصا إذا صادمت قيمة إنسانية غاية في السمو.

1-2- **معالجة نفوس غاضبة**:

ومثال ثان للإستراتيجية التضامنية:

أطراف الحوار :النبي صلى الله عليه وسلم والأنصار

الحضور :جماعات الأنصار

المقام:بعد غزوة حنين

القناة:كلام

النظام:خطبة

موضوع الحوار :تقسيم الفيء والعدالة

وذلك عندما خطب الرسول صلى الله عليه وسلم بهم بعد غزوة حنين قائلاً : " يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم ، وموجدة وجدتموها في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ؛ وعالة فأغناكم الله ؛ وأعداء فألف بين قلوبكم ! "

قالوا : بلى ، لله ولرسوله المن ، والفضل .

فقال : " ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ! "

قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل !

قال : " أما والله لو شئتم لقلتم ، فصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك . وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ! أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ! فو الذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنــصار ، وأبناء أبناء الأنصار " قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا[Ö]

ففي هذا الحوار يظهر حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعد التضامني في التخاطب، حِرْصٌ على أن يقترب من الأنصار الذين تغيروا بسبب تقسيم الفيء، فأحدثَ فيهم هذا

الموقف توترا ومعاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كان من الحبيب المصطفى إلا أن توجه إليهم ليفهمهم أن قسمتهم رابحة، لأنهم أخذوا ما لا يقدر بثمن، أخذوا معهم رسول الله الذي لو لم تكن الهجرة حدثا تاريخيا لكان أنصاريا مدنيا؛ لِمَا نبت في قلبه من حب الأنصار ومدينة الأنصار يثرب.

لقد نجحت الإستراتيجية التضامنية التي اختارها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخاطبة جماعة الأنصار إلى درجة أن البكاء غلبهم لما سمعوه من إعلان رسمي من الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم على الملأ وفي خطبة دخلت التاريخ، إعلان يرسخ للتاريخ تعلقه صلى الله عليه وسلم وحبه للأنصار لما وجد فيهم من تأييد وتضامن ومحبة.

1-3- **التربية بالملاطفة**:

ومثال آخر عن الإستراتيجية التضامنية:

أطراف الحوار:النبي صلى الله عليه وسلم+ معاوية بن الحكم السلمي+ العاطس

الحضور:الصحابة

موضوع الحوار:التشميت في الصلاة

المقام:المسجد

القناة:كلام

النظام: إخبار تعليمي

في صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي – رضي الله عنه – لما شمَّت وهو في الصلاة رجلا عطس ووجد من الصحابة إنكارا عليه قال: ((فلما صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه؛ فوالله ما نهرني، ولا ضربني، ولا شتمني.

قال: إن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن.

في هذا الحوار يتجلى بقوة البعد التضامني في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الصحابي الذي تكلم في الصلاة بالتشميت، كلاما جر عليه إنكار الصحابة.

إن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحوارية المبنية على اللطف بدل العنف جعلت المرسل إليه(العاطس) يقر بأنه لم ير معلما أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لم ينهره ولا عنفه ولا شتمه، بل أصلح ما جاء منه عفوا بإخبار يخلو من أي شيء يمكن أن يجرح المعني بالنصيحة والتوجيه.

1-4- المداراة بذل الدنيا:

أطراف الحوار: النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها وزائر غير مرغوب فيه(عيينة بن حصن أو مخرمة بن نوفل أو غيرهما)

المكان: بيت رسول الله

موضوع الحوار: تألف النبي صلى الله عليه وسلم للزائر مع علمه بفسقه.

القناة: الكلام

النظام: مداراة كلامية.

عن عائشة أن رجلاً استأذن على النبي {صلى الله عليه وسلم} فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة؛ فلما جلس تطلق النبي {صلى الله عليه وسلم} في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل، قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا ثم تطللقت في وجهه وانبسطت إليه.

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: يا عائشة متى عهدتني فحاشاً إن شر الناس يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره وفي حديث ابن عيينة [x]

هذا الحوار الذي جرى بين النبي صلى الله عليه والسلام والقادم مهم جدا في مضمار فهم جزء من التواصل مع فريق من الناس لا يرغب عادة في اللقاء بهم في الوقت الذي يُتوقى استعداؤهم، فتكون الإستراتيجية التضامنية تأليفا لهم بطريقة تطرح إشكالا التفريق بين المداراة والمداهنة، وقد تعرض الشراح للمسألة.

قال ابن حجر نقلا عن عياض:" والفرق بين المدارة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معا؛ وهي مباحة وربما استحبت، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا، والنبي

صلى الله عليه و سلم إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته؛ ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله؛ فإن قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة، فيزول مع هذا التقرير الإشكال"[ÑÎ]

قال ابن الجوزي:" هذا إنما فعله رسول الله على وجه المداراة فسن ذلك لأمته فيجوز أن يستعمل مثل هذا في حق الشرير والظالم"[ÑÏ]

الإستراتيجية التوجيهية:

تعريف:

يمكننا تعريف الإستراتيجية التوجيهية بأنها الإستراتيجية التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه، ولا يعد التوجيه هنا فعلا لغويا فحسب، وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف هالداي، إذ إن اللغة" تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه وسلوكه" [Ñ]

مسوغات الإستراتيجية التوجيهية:

يبدو أن هناك عددا من المسوغات التي تدعو لاستعمال الإستراتيجية التوجيهية منها:

_ الطابع الرسمي في العلاقات التواصلية

_ الشعور بالتفاوت الفكري أو الاعتبار الاجتماعي أو الطبقي

_ الحفاظ على التراتبية التي تضمن استمرار الاحترام والتوقير

_ إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل

_ إلخ...

تمثيل:

من أمثلة الإستراتيجية التوجيهية في مخاطبات النبي صلى الله عليه وسلم ما نجده من رسائله للملوك في زمنه، حيث تلمس محافظة النبي صلى الله عليه وسلم على الطابع

الرسمي(نبي \ملك)، وتعكس لغة هذه الرسائل علو مرتبة المرسل (النبي صلى الله عليه وسلم) على المرسل إليه(قيصر \كسرى\المقوقس\النجاشي) لتحقيق المراد من التأثير النفسي في دعوة ذوي الحظوة والجاه، لأن اللغة في المخاطبات تشف عن هندسة اجتماعية ومنطق تراتبي لا مناص من رعايته لضبط المواقع التواصلية التي تحدد مراكز القوة من غيرها تحديدها للمؤثر والمتقبل أو المستقبل[ÑÑ].

ومن عنايته صلى الله عليه وسلم بمخاطبة رموز زمنه من الملوك ما روي عنه أَنَّهُ بَعَثَ كِتَابًا مَعَ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ ، وَبَعَثَ بِشُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ الأَسَدِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ ، وَأَنَّهُ بَعَثَ خُنَيْسَ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ إِلَى كِسْرَى ، وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَأَرْسَلَ الْعَلاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ صَاحِبِ هَجَرَ ، وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ ، وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَى مَلِكِ عُمَانَ ، وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، فَمَضَوْا لِذَلِكَ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ وَفَاتِهِ.

جاء في خطابه لقيصر:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ اللهِ تَعَالَى إِلَى الإِسْلامِ ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمُ الإِرِّيسِيِّينَ ، يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[ÑÒ]

من خلال هذا الخطاب تظهر الرسالة عدة قضايا تواصلية وتفاوضية غاية في الأهمية:

_ الموقف الأولي والمثالي

_ مستوى القوة والمرونة

_ ملامح الإطلاقية

_ لغة العرض

_ دائرة المشترك

وهي كلها مؤشرات على الاستراتيجية التوجيهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مخاطبته من منصب الرسالة الذي يأخذ فيه بمراعاة المنازل تجسيدا للحكمة من جهة والأخذ بمذهب الخط المستقيمStraight line approach تجسيدا للقوة التخاطبية من وجهة نظر لسانيات الخطاب[ÑÓ].

الإستراتيجية التلميحية:

تعريف:

تعرف الإستراتيجية التلميحية بأنها الإستراتيجية التي يعبر فيها المرسل من غير طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة، بل يختار أن ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة (التضمين Implicationوالاقتضاء presuppositionمثلا)يحتاج معها المرسل إليه إلى إعمال آليات الاستدلال للوصول إلى القصد الأصلي، فهي إستراتيجية يحتاج فهمها إلى الانتقال من المعنى الحرفي للخطاب إلى المعنى المضمر الذي يدل عليه عادة السياق بمعناه العام

مسوغات الإستراتيجية التلميحية:

مما يدعو لاختيار هذه الإستراتيجية يمكن أن نذكر ما يلي:

_ الحرص على التأدب في مخاطبة الآخرين بالكناية وغيرها

_ الرغبة في التملص من مسؤولية القول

_ الرغبة في إظهار التفوق والاستعلاء (نقصد استعلاء الإيمان)

_ سلوك طريق التقية

_ إلخ...

تمثيل:

كان – صلى الله عليه وسلم – إذا بلغه عن أحد من أصحابه ما يحتاج إلى تنبيه عليه قال في خطبته: ((ما بال قوم يفعلون كذا، وما بال رجال من أمتي يقولون : كذا)) ،وما أشبه ذلك،

وذلك؛ ليعدل عنه من صدر منه، وليحذر الوقوع فيه من لم يباشره.وهذا من باب التعريض منه صلى الله عليه وسلم.

من ذلك هذا الحوار التالي:

أطراف الحوار :النبي صلى الله عليه وسلم وابن اللتبية

موضوع الحوار :الأمانة والرشوة

مقام الحوار :المسجد

نظام الحوار :كلام توجيهي تلميحي

روى أبو حميد الساعدي قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأسد، يقال له ابن اللُّتْبِيَّةِ، قال عمرو بن أبي عمرو على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي،

قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ،فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال العامل أبعثه، فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه أو (في بيت) أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا، والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه؛ بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأينا (عفرتي) إبطيه ثم قال اللهم هل بلغت[ÑÔ]

فمن خلال الإستراتيجية التلميحية لم يشأ النبي صلى الله عليه وسلم(وهو مغضب كما في رواية عن أبي الزناد عن أبي نعيم) التصريح باسم المعني وإن كان معروفا عنده، لأن المقصود عنده التنبيه لا التشويه،الإنذار لا الإشهار، فهو نموذج لحكمة الإشراف Supervision wisdom.فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم الأولوية وهو المربي القائد لقيمة التوجيه والتصحيح على الانفعال غير المنضبط الذي قد يولد أحقادا وهبوطا في القدرة على العمل والإنتاج.

ومثاله الآخر ما رواه البخاري من انه صلى الله عليه وسلم وجه خطابا بعد فراغه من الصلاة لمن كانوا يرفعون أبصارهم أثناءها إلى السماء وهو مما يمنع الخشوع، وقد كان صلى الله عليه وسلم يعرفهم على التعيين لأنهم يصلون معه ، وفي مسجده، قال صلى الله عليه وسلم:" ما بال أقوام

يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن أو لتخطفن أبصارهم[ÑÕ]

فيظهر من خلال هذه الإستراتيجية التلميحية أنها أوفق في الدلالة على المراد من التوجيه من غير حاجة إلى أن تختلط مع الدلالة المرادة (التزام النظر في موضع السجود)دلالة أخرى هامشية (كالتجريح الصريح)تفسد قصد الرسالة التواصلية، ثم إن طبيعة موضوع التواصل لما كانت مرتبطة بشكل عبادي كان يلزم من مقتضيات التوجيه في تفاصيلها مراعاة قواعد الشريعة الأدبية والأخلاقية حتى لا ينهدم ركن الانشغال بالتصحيح والترقي بالإنجاز في أداء شعائر الدين[ÑÖ].

ويدخل في الإستراتيجية التلميحية ما جاء على الكناية والتورية والتقية والتعريض والأساليب الإضمارية في خطابات الرسول صلى الله عليه وسلم،

ومما ورد عنه صلى الله عليه وسلم"إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب" [Ñ×]،وفي الإستراتيجية التلميحية قد يلجأ للمعاريض في سياقات التمويه والتغفيل وغيرها من السياقات التداولية [ÒÎ]التي يراد منها صرف المرسل إليه عن فهم المقصود الحقيقي من الرسالة، فإن الكذب تجل والصدق تجل وهما معا من القيم التي تدور مع القصد، فالكذب لا يعد كذلك إذا كان صاحبه لا يعتقده بل يدفعه إليه رعاية مصلحة أكبر ودرء مفسدة تقع على النفس أو الغير ممن يقعون تحت مسؤولية الإنسان، يفسر هذا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:" لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله، قوله لسارة (أختي) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله (إني سقيم)" [ÒÏ].وهذه الثلاثة سماها شراح الحديث معاريض، وبها احتج عدد من العلماء على جواز التعريض لمظلوم؛ وهو أن يعني بكلامه ما يحتمله اللفظ وإن لم يفهمه المخاطب، ولهذا قال من قال من العلماء إن ما رخص فيه رسول الله إنما هو من هذا كما في حديث أم كلثوم بنت عقبة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال" ليس الكاذب بالذي يصلح بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا، ولم يرخص فيما يقول الناس أنه كذب إلا في ثلاث: في الإصلاح بين الناس وفى الحرب وفى الرجل يحدث امرأته" [Ò]

ويدخل في جملة هذه الإستراتيجية ما كان صلى الله عليه وسلم يفعله من التورية حين يريد الغزو[ÒÑ]، والمراد أنه كان يريد أمرا فلا يظهر **قصده**، كأن يريد أن يغزو وجهة الشرق فيسأل عن أمر في جهة الغرب ويتجهز للسفر فيظن من يراه ويسمعه أنه يريد جهة الغرب، ومن هذا الباب قول أبي بكر الصديق في سفر الهجرة عن النبي: "هذا الرجل يهديني السبيل" [ÒÒ]فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير. إن كل خطاب مضمر يحمل معلومة تساق لإفادة معنى معين، إلا أن هذه المعلومة المضمرة يمكن إدراكها انطلاقا من معلومة متصورة، وتحويلها إلى معلومة واقعية، غير أنه في هذا الضرب من البنيات الإضمارية المخادِعة يراد بالمتلقي أن يلتقط طعم قَصْد زائف حتى يتحقق القصد الحقيقي للمتكلم.

و مما يدخل في هذا الباب أنه صلى الله عليه وسلم قام بنفسه بعملية الاستكشاف مع رفيقه في الغار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبينما هما يتجولان حول معسكر مكة إذا هما بشيخ من العرب، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريش وعن محمد وأصحابه . سأل عن الجيشين زيادة في التكتم .

ولكن الشيـ خ قال : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا أخبرتنا أخبرناك) ، قال : أو ذاك بذاك ؟

قال : (نعم) .

قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمكان الذي به جيش المدينة . وبلغنى أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمكان الذي به جيش مكة .

ولما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟

فأجابه:"نحن من ماء[ÒÓ]

أيضا يمكننا أن نستنبط من داخل هذا الإطار حيث يُفْهِم الكلام أكثر من معنى ويراد بالمخاطب أن يستصحب المعنى السطحي القريب والزائف وينشغل عن الانتباه للقصد المتواري خلف التركيب الإضماري.

إنها كلها بنيات تلفظية تتوارى فيها القصود الحقيقية لإنشاء توازن وتحقيق مصلحة اجتماعية تواصلية كما هو الشأن في الإصلاح بين الناس، أو مصلحة دفاعية مع من يناصبونك العداء والخصومة، ومصلحة زوجية وأسرية في حال الكذب على الزوجة تقربا وتحببا، فيكون في اتساع اللغة ملجأ ومنجى من التصريح. يطبع هذا النوع من الإضمار إرادة التعمية عن عمد، وهو إضمار مسبق يتم عن طريق إخفاء أوليات التصريح والبيان لتمويه القصد الحقيقي وإبراز قصد زائف إلى السطح.

ومن النماذج أيضا على هذه الإستراتيجية التلميحية ما جاء في باب المداراة مع الناس، والمداراة غير المداهنة، قال ابن حجر:"وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك"[ÒÕ]

قال أهل اللغة: الإدهان هو التلبيس ، وحقيقة الإدهان إظهار المقاربة مع الاعتقاد للعداوة، فإن كانت المقاربة باللين فهي مداهنة، وإن كانت مع سلامة الدين فهي مداراة أي مدافعة[ÒÕ]

فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذنَ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إئذنُوا لهُ فبئسَ ابنُ العشيرةِ، أو بئسَ أخو العشيرةِ. فلما دخل ألان له الكلام فقلت له: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له في القول! فقال: أَيْ عائشةُ إنَّ شَرَّ الناسِ منزلةً عندَ اللهِ مَنْ تَرَكهُ النَّاسُ _أو وَدَعَهُ_ النّاسُ اتقاءَ فُحْشِهِ[ÒÕ].

الإستراتيجية الحجاجية:

تعريف:

الإستراتيجية الحجاجية إستراتيجية يرمي من ورائها المرسل" إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي" [Ò×]للمرسل إليه، وهذه الإستراتيجية يتغيى من خلالها المرسل إقناع المرسل إليه

بمختلف الوسائل بوجاهة موقفه أو رجاحة فكرته، أو أفضلية سلعته بحسب السياق وموضوع الحوار الدائر بين المرسل والمرسل إليه وكذا بحسب مستواهما وطبيعة العلاقة الرابطة بينهم بواسطة ما يسمى بالحوار الحجاجي.Dialogical Argumentation

مسوغات الإستراتيجية الحجاجية:

مما يدعو لانتهاج الإستراتيجية الحجاجية يمكن أن نذكر:

_ قوة تأثيرها في المرسل إليه

_ طلب المرسل إليه لها في بعض السياقات

_ حصول الاختلاف بخصوص قيمة معينة

_ المناظرة العقلية والمجادلة الكلامية

_ الرغبة في تحصيل الإقناع بما عند المرسل من بضاعة

_ إلخ...

تمثيل:

مثالنا على هذا النمط من الاستراتيجيات التي وظفها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أطراف الحوار:النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن سلام وجماعة اليهود

موضوع الحوار:السؤال عن قضايا الغيب

مقام الحوار:المدينة

النظام:كلام (سؤال وجواب)

روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن سلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم:

" عن حميد عن أنس قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، قال عبد الله بن بكر عن حميد وهو في أرض يخترف، فأتاه وقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول أشراط الساعة؟

وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟

ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خبرني بهن آنفاً جبريل.

قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة. زاد في رواية عبد الله بن بكر عن حميد فقرأ هذه الآية (من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك) البقرة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكل أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ،وإذا سبقت كان الشبه لها.

قال: أشهد أنك رسول الله .

ثم قال:يا رسول الله إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك.

فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله :صلى الله عليه وسلم: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟

قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا وأخبرنا وابن أخبرنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟

قالوا: أعاذه الله من ذلك.

زاد في رواية بشر بن المفضل عن حميد فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك، قال: فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقالوا: شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه"[ÓÎ]

إن موضوع الحوار الذي دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم واليهودي عقدي تأسس في شطر منه على السؤال عن مغيبات لا يعلمها أحد من الناس، وهو موقف دقيق Delicate situation، وقد اعتقد السائل (عبد الله بن سلام) أنه معجز رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يواجهه به من مسائل خفيت على من لم يطلع على كتب اليهود الخاصة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أفحمه بالجواب وحاجه بحقيقته، بل ولم يتوان في إخباره بمصدر معلوماته تجاوزا لكل تأويل ممكن مغرض.

كما يبين لنا الحوار أنه إن استطاع النبي صلى الله عليه وسلم إقناع عبد الله بن سلام بصدق نبوته بما اخبره وأجابه، فإن جماعته من اليهود يتركون الحق ويغالطون أنفسهم ولا يتركون دينهم وعقائدهم، وحتى وإن جرى منهم التعديل لصاحبهم قبل سماع شهادته، فإن شهادته كانت كافية ليغير القوم رأيهم فيه، دفاعا مستميتا وأصم عن الأفكار الذاتية وإن كانت خاطئة. فليس المهم أن يظهروا متناقضين في الحوار، بل المهم أن لا تنهار المنظومة العقائدية ذاتها.

وعلى قدر ما كان من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مواجهتهم بامتحان أقوالهم ذاتها وعرضها على محك الصدق والكذب [Óï]، كان اليهود أسلس للانقياد في اتجاه تكذيب"المصدق عندهم" على أن تكذب "منظومتهم الفكرية الجماعية" وهي علامة على طبيعة ممارساتهم الثقافيةCultural practices.

إن هذا الحوار وأمثاله يطرح"قضية العقيدة كما جاء بها هذا الدين،قضية اقتناع بعد البيان والإدراك، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار، وقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته، يخاطب العقل المفكر، والبداهة الناطقة، ويخاطب الوجدان المنفعل، كما يخاطب الفطرة المستكنة، يخاطب الكيان البشري كله، والإدراك البشري بكل جوانبه، في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجئ مشاهدها إلجاء إلى الإذعان، ولكن وعيه لا يتدبرها وإدراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعي والإدراك" [Ó]

خاتمة وتوصيات:

في نهاية هذا الكلام عن استراتيجيات النبي صلى الله عليه وسلم في محاوراته ومخاطباته، لنا أن نسأل عن مقدار ما تميزت به سيرته صلى الله عليه وسلم من تسامح ورحمة وأخلاق عالية جعلت منه صلى الله عليه وسلم نموذجا كونيا للإنسان الكامل ، نستمع لهذه الشهادة الغربية عنه، يقول السير وليام موير :"ومن صفات محمد صلى الله عليه وسلم الجديرة بالذكر ، والحرية بالتنويه: الرقة والاحترام،اللذان كان يعامل بهما أصحابه، حتى أقلهم شأنا، فالسماحة والتواضع والرأفة والرقة تغلغلت في نفسه،ورسخت محبته عند كل من حوله، وكان يكره أن يقول لا، فإن لم يمكنه أن يجيب الطالب على سؤاله فضل السكوت على الجواب، ولقد كان

أشد حياء من العذراء في خدرها، وقالت عائشة رضي الله عنها:"وكان إذا ساءه شيء تبينا ذلك في أسارير وجهه، ولم يمس أحدا بسوء إلا في سبيل الله، ويؤثر عنه أنه كان لا يمتنع عن إجابة الدعوة من أحد مهما كان حقيرا، ولا يرفض هدية مهداة إليه مهما كانت صغيرة، وإذا جلس مع أحد أيا كان لم يرفع نحوه ركبته تشامخا وكبرا"[ÓÑ]

هوامش البحث

Ï_ المنصورة : دار الوفاء، 1992 .

_ صدر عن إدارة الدراسات والبحوث والنشر في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني السعودي

Ñ_ مؤسسة البلاغ، 2001

Ò_ صدر عن جائزة نايف بن عبد العزيز، ط1، 2005

Ó_ الدار الأثرية عمان، 2008

Ô_ دار المسلم للنشر والتوزيع، 1993

Õ_ http://www.alukah.net/articles/47/3973.aspx

Ö_ابن منظور: مادة(حور)

×- صليبا جميل: المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني،1986، 501

ÏÎ- الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ،ط2، 1993، 159/12.حديث رقم 12756.

ÏÏ- المناوي: فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط 1، 1356، 526/4. الهندي:كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، 1981، 155\10، حديث رقم 28794. والطبراني: مسند الشاميين، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، 3\207، حديث رقم 2098.

Ï– البخاري: الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير بيروت، ط 3، 1987،رقم الحديث 4364، 1701/4

ÏÑ– ابن أبي شيبة: المصنف، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، ط 1، 1409، رقم الحديث 32262، 387/6.

ÏÒ– الإمام أحمد: المسند، مؤسسة قرطبة مصر، رقم الحديث 27467، 430/6

ÏÓ_ Meyer, M. La Conception Problématique du Langage; ART Langue Francaise ; L'interrogation Larousse; Paris ; Dec N°52

ÏÔ– فولفجانج هاينه مان: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة الزهراء الشرق، 215.

ÏÕ_ رواه الترمذي في الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، 295

ÏÖ– الحاكم: المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم 40. والبيهقي: شعب الإيمان، فصل في المكافأة بالصنائع، حديث رقم 8701.

×Ï_عرفات كامل العشي: رجال ونساء أسلموا، ج7ص7-6

Î _ يراجع:فولفجانج هاينه مان وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة الزهراء الشرق،القاهرة، ط1، 2004، 269.

Ï _ Vin Dijk,Kintisch,w , Strategies of Discourse Comprehension, New York ; London , 1983

_ القرافي: الفروق، تحقيق السيد سابق،دار الجيل،ط1، 2005، ج1ص223

Ñ _ الدهلوي: حجة الله البالغة، تحقيق: عثمان جمعه خميرية- مكتبة الكوثر، الرياض، ط (1) 1999م،

Ò _ عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد بنغازي ليبيا، ط1، 2003 ، 257

Ó _ أخرجه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في الكبير، والهيثمي في مجمع الزوائد:ج1ص129

Ô _ فتح الله كولن: النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية، ترجمة لينا عبد القدوس أبو صالح،بيروت مؤسسة الرسالة،1999 ، ج1ص6

Õ – عن الإجراءات التأدبية في الخطاب يراجع :

Ch. Linde , The quantitative study of communicative success : Politeness and accidents in aviation discourse . Language in Society 17 (1988) , p. 380 .

Ö _ الهندي: كنز العمال،14\60، حديث رقم37939.

× – البخاري: باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفاحشا، حديث رقم 6032.

ÑÎ– ابن حجر: الفتح، 70/12

ÑÏ– ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين، 1221/1

Ñ_56 Geoffrey Leech; Principles of Pragmatics;

ÑÑ– يراجع للمزيد عن الوضع التراتبي في الخطاب:

R. Wardhaugh : An Introduction to Sociolinguistics . 2nd Edition . Oxford (UK) & Cambridge (USA) : Blackwell , 1992 , p. 277 .

ÑÒ_الشيباني:الآحاد والمثاني، تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية الرياض، ط 1، 1991، 1\405

ÑÓ– Helen Spencer–Oatey ; Reconsidering power and distance, Journal of pragmatics , volume26n »1, july, 1996 ; p7_10

ÑÔ _ البخاري:الجامع الصحيح، كتاب الأحكام، حديث رقم 7174. وعند مسلم: الصحيح، حديث رقم:1832.أحمد: المسند،7\39، البيهقي: السنن الكبرى،4\158

ÑÕ_ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الأذان، حديث رقم 750. أخرجه الطيالسى (ص 270 ، رقم 2019) ، وابن أبى شيبة (48/2 ، رقم 6317) ، وأحمد (109/3 ، رقم12084) ، وعبد بن حميد (ص 360 ، رقم 1196) ، وأبو داود (240/1 ،رقم 913) ، والنسائى (7/3 ، رقم 1193) ، وابن ماجه (332/1 ، رقم 1044) ، والدارمى (339/1 ، رقم 1302) ، وابن حبان (61/6 ، رقم 2284) ، وابن خزيمة (242/1 ، رقم 475) .

ÑÖ- عن القوة التلميحية والإيحائية في الخطاب يراجع:

D. Tannen , That`s Not What I Meant ! : How conversational Style Makes or Breaks Your Relations with Others . New York : Ballantine , 1986 .

Ñ×_البيهقي: السنن الكبرى: كتاب الشهادات، باب المعاريض فيها مندوحة عن الكذب، حديث رقم20241. الطبراني: المعجم الكبير،باب العين.

ÒÎ- عن السياقات التداولية وكيف تؤثر في صناعة الخطاب يراجع :

J. Gumperz , On international sociolinguistic method . Talk , Work and Institutional Order . Ed. by S. Sarangi and C. Roberts . Berlin : Mouton de Gruyter , 1999 .

ÒÏ- ورد الحديث بطرق عدة وكلها مفيد نفس المعنى، يراجع،صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، حديث رقم 2371، 1840/4. وسنن الترمذي،تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي بيروت، حديث رقم 3166، 321/5.

Ò- يراجع: ابن حجر:فتح الباري،حديث رقم 2546، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت. 299/5. والبيهقي: السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز مكة المكرمة، 1994، 197/10.

ÒÑ_ الشوكاني: الدراري المضية ، دار الجيل بيروت، 1987، 484/1. و ابن أبي شيبة : المصنف: تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، ط1، 1409، 422/7.

ÒÒ– البخاري: الجامع الصحيح، 1423/3.والشوكاني: نيل الأوطار، 111/9. وأخرجه ابن أبى شيبة (329/6 ، رقم 31812) .

ÒÓ– القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ،تحقيق أحمد عيد العليم البردوني، دار الشعب القاهرة، ط2، 291/12. والكلاعي: الاكتفاء، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب – بيروت – 1417هـ، ط 1، 15/2، السهيلي: الروض الأنف، 58/3. ابن سيد الناس: عيون الأثر، 329.

ÒÔ_ ابن حجر: فتح الباري، 12\160.

ÒÕ– ابن العربي: أحكام القرآن، 426/7.

ÒÖ– أخرجه الترمذى (359/4 ، رقم 1996) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضًا : البخارى (2250/5 ، رقم 5707) ومسلم (2002/4 ، رقم 2591) .

Ò×_ هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص64،

ÓÎ_ صحيح البخاري:ج 3/ص1433 ح3723،الحميدي: الجمع بين الصحيحين، تحقيق علي حسين البواب، دار ابن حزم لبنان، 2002، ط2، 2\475. مسند أبي يعلى:ج 6/ص138 ح3414، السنن الكبرى:ج5/ص338 ح9074.

ÓÏ– عن طرق التمحيص في الحوار يراجع :

حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق، ط1، 153_164.

Ó_ سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد1 تفسير الآية 256 من البقرة.

53 –Sir William Muir ; The life of Mohammed; Edinburgh, 1923, p20